

## المحتويات

ص		
٢	م.د. مها سعيد حميد	شاعر المنارة مخلص بن بكر الموصل .....١٧٠-٢٣٢هـ
٦	د. محمد نزار الدباغ	أ.د. صالح احمد العلي ودراسته لعالم العراق العمرانية.....
١٢	د. عروبة جميل محمود	المراكز التعليمية والثقافية في الموصل ١٩٢١-١٩٥٨.....
١٧	م. عامر بلو اسماعيل	الموصل قبل الحكم الوطني في العراق.....

## شاعر المنارة مخلص بن بكر الموصلي

١٧٠-٢٣٢هـ

د. مها سعيد حميد\*

يعد كتاب شاعر المنارة مخلص بن بكر الموصلي من الكتب الأدبية، لكنها لا تخلو من التاريخ ومن حياة وعصر الشاعر مخلص بن بكر المولود سنة (١٧٠هـ/٧٨٩م) والمتوفى سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م)، والكتاب من الحجم الوسط وعدد صفحاته (١٣٢) صفحة، وقد طبع طبعته الأولى في بغداد سنة ١٩٧٧ بمطبعة المعارف، وقبل الحديث عن مضمون الكتاب لابد من الحديث عن المؤلف وعن ما جاء في نتاجه هذا.

أما المؤلف محمود الجومرد فقد ولد في مدينة الموصل سنة ١٩١١ في ظل أسرة عرفت بشهرتها بعلوم القرآن والأدب والتاريخ، درس في بداية حياته في الكتاب وختم القرآن الكريم وتنقل في الموصل ثم درس في بغداد بدار المعلمين وتخرج منه سنة ١٩٢٩، ثم عمل مدرساً في مدرسة القحطانية في الموصل ما يقارب ست سنوات، ثم التحق بدار المعلمين العالي وتخرج منه سنة ١٩٣٩ مدرساً للاجتماعيات واللغة العربية، واختص بتدريس اللغة العربية وتدرج في الوظائف من عمله في مديرية معارف الموصل، ثم أصبح مديراً للثانوية الشرقية سنة ١٩٥٤، ثم عين مديراً للمجموعة الثقافية سنة ١٩٥٧، ثم مديراً لمعارف الموصل، وأخيراً عين مفتشاً عاماً للتربية وبقي في هذا المنصب حتى إحالته على التقاعد سنة ١٩٦٩ لينتهي خدمته البالغة أربعين سنة، وقد توفي سنة ١٩٩٥.

والكتاب قسم إلى عناوين داخلية وليس فصولاً، كما هو شأن معظم الكتب وقد تضمن المضمون عشرين عنواناً داخلياً قد سبقها تقديم للكتاب للدكتور أكرم فاضل الصيدلي وهو من أسرة موصلية عرفت بحبها للعلم والمعرفة وكان مولده في الموصل سنة ١٩١٨ وواصل تعليمه فيها بل إنه كان عصامياً في تعلمه اللغة الفرنسية، ثم وجد فرصة حين عين بالسلك الدبلوماسي، ورغم ذلك استطاع أن يواصل نتاجه الأدبي إذ له

\* مدرس / مركز دراسات الموصل

قراءات موصلية - العدد (٢٥) / ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ / آذار ٢٠١٣ م

ديوان شعر بعنوان (المقاهي والملاهي) طبع سنة ١٩٥٧ في بغداد، فضلاً عن أبحاث وترجمات للمقالات أخرى نشرت في مجلة المورد والتراث الشعبي معظمها خلال سبعينات القرن الماضي، وقد توفي الدكتور أكرم في بغداد سنة ١٩٨٧.

أما تقديم الكتاب فيصعب على من يعرض كتاب شاعر المنارة للنقد ان يختار كلمات وأسلوب ابلغ من اختيار الدكتور أكرم فاضل، فعلى الرغم من ان تقديمه لا يتجاوز الثلاث صفحات، الا انه عرض الكتاب بأسلوب الأديب موضعاً مكانة الشاعر التي أحيها الأستاذ محمود الجومرد، وموضعاً أيضاً مكانة الأخير في التأليف، رغم قلة نتاجه في التأليف لكنه وصفه بأنه " من المؤلفين الذين يتصفون بالأنابة وإعمال الروية، ولهذه العلة الحسنة فمؤلفاته قليلة، ولكنها محكمة البناء".

أما بالنسبة لمقدمة الأستاذ الجومرد فلم تكن جودته أقل من جودة تقديم الدكتور أكرم، إذ بين فيها محاسن الشاعر الموصلية وانه "شاعر مغمور مظلوم، رقيق الحس، لا يسكت على خطأ او ظلم، ولا يلتزم بشيء اذا ما وجد الأمر يجري على غير طبيعته وسننه، يتألم لفقد الرجال الفرسان الشجعان فيرثي بقلب موجع ونفس حزينة..."، وقال عنه أيضاً بأن "ظلمه مؤرخو الأدب وجامعو الشعر وأهملوه، لأنه لم يتكسب بشعره فيخدم ذوي الجاه والسلطان، ولم يجتمع في مجلس اللهو والطرب والشراب فيلهو ويعبث ويمدح ويختلق الصور الخلابية ويتفنن في الوصف كذباً وبهتاناً"، كما قال الأستاذ الجومرد أيضاً بأن "مخلد الموصلية من أوائل من نظم شعر الهجاء الهزلي الساخر الضاحك (الكر يكايتز) الخالي من الشتائم والفحش والحقذ"، ان المتابع للأستاذ الجومرد يلتبس ان الأخير قد وضع مواصفات الشاعر الواجب احترامه من قبل المؤرخين والنقاد، لا سيما وانه كان نزيهاً تجاه السلطان ولم يتكسب بشعره، وكان الأستاذ يحاكي عصره وعصر من سبقه، ثم يواصل الأستاذ الجومرد في مقدمته في مناقشة شكسبير وشهرته وجدلية أعماله ونسبتها لغيره، ثم الحديث عن علاقة ذلك بشاعر المنارة مخلد بن بكار، ثم يشكي الجومرد قلة مصادره عن الشاعر لاسيما وان الذين توسعوا في الحديث عنه اثنان أولهما أبو بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م) في كتابه أخبار أبي تمام وهو منحاز لأبي تمام الذي هجاه مخلد بن بكار، والثاني أبو زكريا الأزدي الموصلية (ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م)، وان ضياع جزئيين من كتابه قد أضاع علينا الكثير من المادة العلمية، كما يشكو الجومرد قلة محبي الشعر القديم إذ قال " ومن سوء طالع مخلد الموصلية أنني أتحدث عنه الآن في زمن طغى فيه الشعر الحديث وقد كثر ناظموه وناشروه، وظهر العيابون والمقللون من قيمة الشعر التقليدي، وربما يرى البعض ان الحديث عن شاعر مثل مخلد الموصلية \_ وقد مضى عليه

مائتا وألف سنة- وهو عبث واجترار، وإحياء لشيء قد مات وفات وعفى عليه الزمن"، وفي نهاية مقدمة الجومرد كرر قوله " وبعد فمخلد شاعر مغمور مظلوم، ولعلي بكتابي هذا أكون قد أزلت عنه بعض الغبار الذي غمره والظلم الذي لحق به مدة تقرب من اثني عشر قرناً، وهذا زمن طويل وطويل".

ثم يبدأ الكتاب بعنوان داخلي" مخلد الموصل" يتحدث فيه عن اسم هذا الشاعر واصله والتحقق من سنة ولادته وموته، ثم اثبت الأستاذ الجومرد على ان الشاعر كان مقيماً في الموصل " ولم يبارحها" بدليل روايات مؤرخي عصره، وبعد هذه المناقشات يعرض لنا الجومرد الموصل وأحوالها ما بين سنتي(١٧٠-٢٣٢هـ/٧٨٦-٨٤٦م) وهي سنوات حياة الشاعر ويقسم عرضه بالحديث عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية وصلة الموصل بالخلفاء العباسيين، ثم الصراع القبلي، فضلاً عن تناوله الحياة العلمية، وأخيراً تحدث عن الحياة الأدبية وفي الحقيقة رغم سعة هذه العناوين التي اختصر الحديث عنها بحوالي عشرة صفحات، الا ان مادتها تتناسب مع موضوع الشاعر، لكنها لا تغني الباحث عن الحياة السياسية أو النواحي الأخرى لمدينة الموصل، في حين جاء عنوان آخر بعنوان مخلد تأثر بالأحداث وبالحركة العلمية والأدبية، وفيه عرض موجز واضحاً فيه معاناة الأستاذ الجومرد من قلة المصادر الأولية وحتى الثانوية، ثم يتحدث عن مزاج الشاعر وتلقيه بشاعر المنارة وهي قصة طريفة جديرة بالذكر، إذ ذكر أبو علي القالي البغدادي(ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) في كتاب الامالي ان كامل الموصل وهو احد أبناء عم الشاعر مخلد قد جلس يقرأ الشعر في المسجد الجامع بالموصل، فصعد مخلد المنارة وصاح:

تأهبوا للحدثِ النازلِ قد قرىءَ الشعرُ على كامل

وكاملُ الناقصُ في عقله لا يعرفُ العامَ من القابل

يهيهة يخلطُ ألفاظه كأنه بعض بنى وائل

وأما المرءُ ابنُ عم لنا ونحن من كوئي ومن بابل

ويقول الجومرد: " وهذا الحدث الطريف لم يسبقه إليه انسان سواء أكان شاعراً أم غير شاعر، مخلد الموصل يصعد المنارة ويصيح بشعره هاجياً ابن عم له قائلاً: استعدوا لمصيبة كبيرة هي ان ابن عمي (كاملاً) بدأ يقرئ الناس الشعر، وكامل ناقص العقل لا يميز الأمور في صوته..."، ويبدو لي ان هذا الحدث وهذه الرواية الطريفة في مقدمة ودوافع

قراءات موصلية - العدد (٢٥) / ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ / آذار ٢٠١٣ م

الأستاذ الجومرد للبحث عن حياة هذا الشاعر وجمع أشعاره، ثم يتحدث الجومرد عن قيمة شعره وضياع أكثره، ثم الحديث عن ما بقا من شعر مخلد واستعرض أبيات في الشوق والغزل والرثاء والهجاء، وقد كانت مادة هذه المواضيع جديدة بالاهتمام لا سيما وان فيه جدية العمل الأدبي الذي يتناسب مع الأسلوب الأكاديمي المتبع، وفي نفس الوقت هذا العرض الأدبي قد فاق في جودته العرض التاريخي لأوضاع الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وهنا تظهر شخصية الجومرد كباحث بالأدب والشعر كونه مارس تدريس اللغة العربية على شخصيته كهواي للبحث في التاريخ وأحداثه.

وقبل الختام يستعرض الجومرد علاقة مخلد الموصلية بابي تمام الطائي ثم مكانة الأخير في الموصل، ثم يقدم لنا عنوان مخلد الموصلية يهجو أبا تمام، وهذه المادة الأدبية لا تقل جودتها عن ما جاء في استعراض الجومرد بشعر مخلد من حيث أغراض الشعر المذكور أنفاً، ثم جاء في آخر عناوين الكتاب الداخلية " مخلد الموصلية وأبو بكر الصولي"، واستعرض فيه العلاقة بين الشاعر والصولي، وأخيراً يقدم الجومرد استدراك لشرح بيوت الشعر مما يدل على حرص الجومرد على إتقان عمله وجودته، ثم يختم الكتاب بقائمة بالمراجع، والأخطاء الواردة بالكتاب، أخيراً جاءت فهرست الكتاب وقائمة بكتب المؤلف البالغ عددها خمسة كتب. وأخيراً يبقى القول ان كتاب شاعر المنارة مخلد بن بكار الموصلية للأستاذ محمود الجومرد من نتاج الزمن الثري وان ثقافة الجومرد هي امتداد لثقافة عقود الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي.

# أ.د. صالح احمد العلي ودراسته لمعالم العراق العمرانية

د. محمد نزار الدباغ\*

تعد المصنفات البلدانية مورداً مهماً لدراسة تاريخ العراق إبان عصور ازدهار الحضارة العربية الإسلامية والتي تحدد بصورة دقيقة أو تقريبية المواضع والمعالم العمرانية، وإن ما نقصده بالمصنفات البلدانية هي تلك الكتب التي تعنى بالجغرافيا والبلدان والرحلات، والتي تمتاز عن المصنفات التاريخية بمعاصرتها للحدث كون البلداني هو شاهد عيان لكل ما مرّ به أثناء رحلاته وتنقلاته بين الأقاليم والمدن والقرى.



وسينصب تركيزنا في هذه الورقة على تناول هذه المصنفات باعتبارها مصدراً لدراسة كل ما يتعلق بمعالم العراق العمرانية من جوامع ومساجد وأديرة وكنائس وقصور وقلع وأسوار وأسواق وغيرها من عناصر العمارة في المدينة العربية الإسلامية. وكل هذه الكتب البلدانية بحثت في أقاليم الدولة العربية الإسلامية، وخص منها العراق بفصول مقتضبة فيها معلومات ليست بالواسعة أو الشاملة، لكنها امتازت بالدقة

\* مدرس / مركز دراسات الموصل

قراءات موصلية – العدد (٢٥) / ربيع الثاني ١٤٣٤ هـ / آذار ٢٠١٣ م

والوضوح والموضوعية. وإن الحدود الجغرافية للعراق التي نقصدها في هذه الورقة تشمل إقليم العراق (وليس العراق بحدوده الحالية) والذي كان يشمل آنذ كل المدن الواقعة بين وسط وجنوب العراق، من بغداد وحتى البصرة، مروراً بواسط والحلة والكوفة والنجف والحيرة والقادسية، زيادة على العديد من المدن والقرى الأخرى والتي لا يتسع المجال لذكرها كونها كثيرة، لذا سنقتصر على إيراد المهم منها من خلال ما جاء عنها من نصوص ذكرت في المصنفات البلدانية.

ووقع اختيارنا على كتاب (معالم العراق العمرانية)، للمرحوم الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، ليكون المعين الذي ننهل منه في بيان أهمية هذه المصنفات البلدانية في دراسة معالم العراق العمرانية والتي امتازت بتنوعها.

ولعل أشهر ما وصلنا من الكتب القديمة التي عنيت بوصف البلدان والتي اعتمد عليها أ.د. صالح أحمد العلي كموارد في دراسته عن إقليم العراق عمرانياً هي كتاب (البلدان) لليعقوبي، والذي وصلتنا منه نسخة ناقصة، وكتاب (التنبيه والإشراف) للمسعودي، و(المسالك والممالك) لأبن خرداذبه، وكتاب (المسالك والممالك) للأصطخري، وكتاب (الخراج وصناعة الكتاب) لقدامة بن جعفر، فضلاً عن كتاب أبن الفقيه الهمداني والمعنون ب (مختصر كتاب البلدان)، زيادة على كتاب (فتوح البلدان) للبلاذري، و (الاعلاق النفيسة) لأبن رسته، وكذلك كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي، زيادة على كتاب (معجم ما استعجم) للبكري، ولعل خير ما وصلنا من كتب الرحلات العربية، كتاب (رحلة أبن جبیر) لابن جبیر الأندلسي، ويعد كتاب (معجم البلدان) لياقوت الحموي بمثابة دائرة معارف جغرافية - إن صح القول - عرّفت بمواقع الأقاليم والمدن والقرى، والشابشتي في كتابه (الديارات)، فضلاً عن الكثير من المصنفات البلدانية الأخرى والتي لا يتسع المجال لذكرها.

يبتدئ وصف المعالم العمرانية للعراق حسب العلي بمدينة الحيرة التي كانت مجتمعاً لقبائل العرب من حمير وطي وكلب وتميم ومع أن سكنها قديم في الحيرة إلا أن بعضها استوطن الحيرة بعد التحرير العربي الإسلامي، حسب ما ذكر ياقوت الحموي في معجمه. ولعل ما يميز الحيرة هو أديرتها وقصورها، ولعل أشهرها دير هند الصغرى، وقد بنته هند بنت النعمان بن المنذر، وهذا الدير من أعظم ديارات الحيرة حسب ما ذكر الشابشتي في كتابه (الديارات) وذكر ياقوت الحموي ديراً آخر باسم دير هند الكبرى وقال عنه " ولم يكن في ديارات العرب أحسن بناء منه... " وهو غير الدير السابق، وبين أ.د. صالح أحمد العلي أن هذه الأديرة لم تكن مواطن للعبادة فحسب بل كانت أماكن

للنزه والترفيه عن النفس نظراً لجمال موقعها وطيب هوائها، زيادة على دقة العلي في التمييز بين أسماء الأديرة ومواقعها كما تقدم الكلام عن دير هند (الكبرى، والصغرى).  
ومن أبرز ما في الحيرة من قصور، القصر الأبيض، وهو بين الحيرة والنجف وهو إلى الأخيرة أقرب. وكذلك قصر الزوراء وهو قصر بناه النعمان بن المنذر وكان مقابل الحيرة، وهو أحد قصور الحيرة الأربعة (قصر بني مازن و قصر الطين و قصر الفرس).

ولعل أشهر القصور هو قصر الخورنق الذي كان بظهر الحيرة مما يلي الشرق حسب ما ذكر ابن رسته، وقد لاقى العديد من الإعمار في عهد الدولة العباسية وتردد ذكره في الشعر العربي كثيراً. وإذا ذكرنا الخورنق، ذكر قصر السدير، وهو قصر في وسط البرية التي بين الحيرة وبلاد الشام إلى الشمال الغربي من الحيرة، ولا ريب أن شهرته أقل من الخورنق بدليل اختلاف المتأخرين في أخباره، فروى ياقوت الحموي انه (السدير) " قصر قريب من الخورنق " وأضاف الشابشتي " أنه قصر عظيم من أبنية ملوك لخم (المناذرة) في قديم الزمان وما بقي منه الآن فهو ديارات وبيع للنصارى "، ووضح أ.د. صالح احمد العلي أن أهمية قصور الحيرة التي ذكرها البلدانيون المسلمون تكمن في كونها تمثل احد اهم عناصر العمارة في المدينة لكون القصور هي أكثر معالم المدينة العمرانية وصفاً عند البلدانيين، فضلاً عن ما جاء عنها من أخبار في كتب التاريخ والأدب وخصوصاً قصري الخورنق والسدير.

ثم ينتقل العلي إلى ذكر منطقتي العذيب والقادسية، ويقع العذيب حسب ياقوت الحموي غربي القادسية وكلاهما يشكلان حداً لسواد العراق من ناحية الجنوب الغربي لإقليم العراق بدلالة قول ياقوت الحموي عنهما من كونهما حد السواد. وذكر ابن جبير أن العذيب عليه بناء دون أن يحدد لنا صفة هذا البناء. أما القادسية فقد وصفها بعض جغرافي العرب، فقال عنها الاضطخري " القادسية مدينة صغيرة "، وأضاف المقدسي " أن لها حصناً من طين " على أنها قد توسعت زمن ابن جبير فأشاد بكونها " قرية كبيرة " وركز الأستاذ الدكتور صالح احمد العلي على أن هاتين المنطقتين قد مرتا بمرحلتين من حيث ذكرها في كتب البلدانيين، فالمرحلة الأولى كانت العذيب والقادسية قد تمتعا بأهمية بعد التحرير العربي الإسلامي للعراق، وخصوصاً بعد معركة القادسية التي انتصرت فيها جيوش العرب المسلمين على الفرس الساسانيين في ١٣ - ١٦ شعبان ١٥ هـ / ١٩ - ٢٢ سبتمبر ٦٣٥م بقيادة الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص والتي أنهت الوجود



الساساني في العراق، أما المرحلة الثانية فقد مرت كلا المدينتين بتطورات فزادت أهميتهما وخصوصاً في القرنين (٦-٧ هـ / ١٢-١٣م) بعد وقوعهما على طريق الحج العراقي.

وينتقل الحديث بنا إلى مدينة النجف، وهي بظهر الكوفة حسب ياقوت الحموي، وتردد ذكر النجف في الفتوحات الإسلامية الأولى، وكذلك جاءت عنها بعض الإشارات في العصر الأموي، وروى البكري في (معجمه) أنه كان في النجف محله اسمها دومة، وبين ياقوت الحموي أن سبب تسميتها بهذا الاسم يعود إلى أن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لما أجلا اكيدر صاحب دومة الجندل قدم الأخير فبنى حصناً سماه دومة أيضاً، ويرى العلي أن دومة النجف أقدم من دومة الجندل وأنها كانت القاعدة القديمة لأكيدر على الرغم من عدم امتلاكنا لنصوص دقيقة تبين ملامح العمارة في هذه المحلة إلا أنها حسب العلي كانت تحوي حصناً بدلالة لجوء صاحب دومة الجندل إليها. وفي أسفل النجف يقع دير فاثيون الذي أشتهر بعمارته، وبين المرحوم أ.د صالح احمد العلي أن هذا الدير امتاز بأهمية موقعه لتوسطه الطريق الواصل بين النجف ودير هند الكبرى من دون وجود تفاصيل واضحة عن معالمه العمرانية لتقديم بناءه.

أما منطقة الكوفة فقد كانت لها أهمية خاصة منذ أول إنشائها من قبل العرب المسلمين فكانت موضعاً لسكن المقاتلة ومركزاً فكرياً عظيماً فيما بعد، ولقد زالت معالم كثيرة من هذه المدينة غير أن معظمها لم تزل باقية فذكر ابن جبير في حق عمارتها ما نصه : " هي مدينة كبيرة عتيقة البناء... وبناء المدينة بالأجر خاصة ولا سور لها والجامع العتيق آخرها مما يلي الشرق وهو جامع كبير... فما أرى في الأرض مسجداً أطول أعمدة منه ولا أعلى... ولهذا الجامع المكرم آثار كريمة فمنها... محراب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) والناس يصلون فيه " وبالرغم من وجود بعض التفاصيل عن مدينة الكوفة إلا أن المرحوم الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي قد ذكر أن المعلومات التي قدمها بعض البلدانيون المسلمون كاليقوبي وأبن الفقيه عن أطراف الكوفة ومحيطها لا تحوي وصفاً شاملاً لاماكن هذه المنطقة.

ومن أبرز المدن التي اشتهرت بقدسيتها الدينية هي مدينة كربلاء التي لا تزال قائمة ومحتفظة بمكانتها الخاصة نظراً لأنها المكان الذي استشهد ودفن فيه الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) والذي يتمتع مشهده بمكانة متميزة عند المسلمين إذ يؤم مشهده سنوياً مئات الألوف من الناس، ونظراً للمكانة الدينية التي تمتعت بها هذه المدينة فقد بين الأستاذ الدكتور صالح احمد العلي انه قد ألفت في تاريخها ومشاهدها

مؤلفات منها على سبيل المثال لا الحصر (بغية النبلاء في تاريخ كربلاء) للسيد عبد الحسين الكليدار آل طعمه.

على أن الحلة كانت قد امتازت بعمارتها على عهد حكم الإمارة المزيدية إذ كانت تحوي جامعين، أحدهما قديم والآخر من بناء الأمير سيف الدين صدقة بن منصور المزيدي، فضلا عن المساكن الجلييلة والدور الفاخرة، فصارت أفخر بلاد العراق عمارة، ومقصداً لتجار العراق من كل صوب حسب ياقوت الحموي، وأوضح الأستاذ الدكتور صالح احمد العلي أن الحلة لا زالت تتمتع بأهمية على مر تاريخها وأكد على أهمية الدراسات الحديثة في التأصيل لكتابة التاريخ المحلي لهذه المدينة وغيرها وأشاد بما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الجبار ناجي في أطروحته للماجستير عن (الإمارة المزيدية) التي قامت في القرن (٥ هـ / ١١م) في الحلة بالعراق على يد مؤسسها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي.

ومن المعلوم أن مدينة واسط التي أنشأها الحجاج بن يوسف الثقفي سنة (٨١ هـ / ٧٠٠م) للهجرة كانت مركزاً سياسياً وإدارياً كبيراً، وقد ركز الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي على أهمية الكتب البلدانية في الكتابة عن مدينة واسط وعمارته والأماكن المحيطة بها وتحديد مواقعها والتي قدمت مادة غنية عنها وخصوصاً في القرنين (٣-٤ هـ / ٩-١٠م) وأكد على أن مادة واسط في كتب الجغرافيين المتأخرين كمعجم البلدان لياقوت الحموي وآثار البلاد للقزويني قائمة على ما نقل من البلدانيين الأوائل مع معلومات إضافية قليلة نسبياً من قبل المتأخرين. ولقد وصف واسط عدد من البلدانيين العرب فذكر اليعقوبي أن واسط " هي مدينتان على جانبي دجلة : فالمدينة القديمة في الجانب الشرقي من دجلة وأبنتى الحجاج مدينة في الجانب الغربي، وجعل بينهما جسراً بالسفن " وأضاف الاضطخري "... وفي كل جانب مسجد جامع "، أما ابن رسته فذكر انه بإزاء مسجد الحجاج يوجد " قصره وهو في الجانب الغربي... وفي قصره قبة مشرفة خضراء " ويتبين مما تقدم إن هؤلاء البلدانيين متفقون على أن واسط تقع في جانبي النهر، فضلاً عن امتياز كل واحد منهما بنص أو عبارة تكمل وصف البلداني الآخر مما يعطينا صورة متكاملة عن المدينة من الجانب العمراني.

ومن المعالم العمرانية الواقعة في الطرف الشرقي لإقليم العراق هي مدينة النهروان، وهي المحطة الرئيسية الأولى من بغداد، وقد وصف اليعقوبي النهروان بأنها بلد جليل قديم، وذكر ابن حوقل والمقدسي أن الجانب الشرقي من مدينة النهروان أعمر، وفيه الجامع، وذكر الاضطخري أن النهروان مدينة صغيرة عامرة.

أما مدينة بغداد فهي أكثر بلاد العراق عمارة منذ زمن إنشائها على يد الخليفة أبو جعفر المنصور والتي سميت المدينة المدورة، وقد نظم الخليفة المنصور مساكن للتجار والمهاجرين الجدد إلى الرقعة الواقعة في جنوب المدينة المدورة وخارج أسوارها وأبنتى لهم مسجداً جامعاً هو جامع الشرقية الذي لا يزال محرابه باقياً وهو معروض في المتحف العراقي، وبنى لهم حوانيت يقيمون فيها صناعتهم ويعرضون فيها سلعهم وتجاراتهم، ولا ريب أن ما قدمه الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي عن مدينة بغداد وعمارته يعد كثيراً وغنياً وظهر في عدد من مؤلفاته وخصوصاً ما يتعلق بخطط المدينة.

وذكر ابن خردادبه وقدامة باروسما وإنتاجيتها مع نهر الملك (أحد فروع نهر الفرات مما يلي بغداد) بوصفهما طسوجاً<sup>(\*)</sup> واحداً مما يدل على قرب المكانين، وللمكانة الاقتصادية المتميزة التي احتلتها باروسما فقد توسعت عمارتها، حتى أن ياقوت الحموي ذكر أن " باروسما ناحيتان من سواد بغداد يقال لهما باروسما الأعلى وباروسما الأسفل " مما يدل على توسع العمارة فيها على الرغم من عدم إعطاء ياقوت الحموي لتفاصيل العمارة في هذه الناحية.

واكتسبت البصرة أهمية كبيرة في زمن التحرير العربي الإسلامي وهي مدينة محدثة من بناء العرب المسلمين كما هو الحال مع الكوفة، وأشاد بها الكثير من البلدانيين ولعل في طليعتهم البلاذري الذي قدم معلومات مهمة عن بناء مسجد سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه)، وأطلق عليها ياقوت الحموي بصره العراق تمييزاً لها عن مدينة البصرة ببلاد المغرب العربي، وأشاد كذلك بمحلاتها وسككها وإنها حد السواد الشرقي للعراق من جهة الجنوب.

(\* الطسوج، الطسج هو الناحية - مُعَرَّب - (حسب الفيروزآبادي في القاموس المحيط).

# المراكز التعليمية والثقافية في الموصل

١٩٢١-١٩٥٨

## د. عروبة جميل محمود\*

تعد دراسة المراكز التعليمية والثقافية في الموصل من الدراسات المهمة التي تساهم في إظهار التاريخ الحضاري العربي الذي لم ينل بعد ما يستحقه من الاهتمام كنظيره التاريخ السياسي وخصوصا إن الدراسات التاريخية المتعلقة بدراستنا هذه قد تناولت جانب التعليم حد بعيد على حساب الجوانب الثقافية الأخرى ومها النوادي والجمعيات دور النشر والمكتبات.

وهذه الدراسة قام بانجازها الباحث عامر بلو اسماعيل كجزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث في قسم التاريخ/ كلية التربية/ جامعة الموصل. ووقعت هذه الرسالة بـ ١٨٥ صفحة من الحجم المتوسط. بإشراف أ.د. غانم محمد الحفوف.

وما يهمننا من هذه الدراسة هو إبراز دور الموصل الحضاري في تطور المراكز التعليمية والثقافية من خلال فترة الحكم الوطني (١٩٢١-١٩٥٨) وما كان لهذه المراكز من دور في تطور الحياة والثقافة. قسمت الدراسة على خمسة فصول :

تطرق الفصل الأول إلى المراكز التعليمية والثقافية التي ظهرت في الموصل أواخر العهد العثماني حتى بداية الحكم الوطني مبينا مدى التواصل الثقافي والعلمي بين هذه المراكز.

أما الفصل الثاني فيسلط الضوء على المؤسسات التعليمية التي فتحت خلال العهد الوطني ويشمل إلى المدارس الدينية والمدارس الرسمية بأنواعها الابتدائية والمتوسطة والثانوية. كما أكد الفصل على مؤسسات التعليم المهني ودورها الثقافي في تأهيل طلبتها مهنيا وتناول المدارس الأهلية والأجنبية .

\* مدرس /مركز دراسات الموصل

ويعرض الفصل الثالث نبذة مختصرة عن الطباعة في العراق خلال فترة الحكم الملكي كما تناول هذا الفصل المطابع ودور النشر في الموصل وما طرأ عليها من توسع وتطور فضلا عن عما تناوله من تراجم رواد النشر في الموصل ودورهم في تطور وتوسع الطباعة.

أما الفصل الرابع ناقش النوادي والجمعيات في مدينة الموصل مبينا دورها في رعاية العلم والثقافة كما تضم الفصل اثر الجمعيات الإسلامية ونشاطها الثقافي، فضلا عن دورها في الجانب الديني وتناول أيضا الجمعيات الثقافية والمعاهد والمتاحف.

أما الفصل الخامس فقد سلط الضوء على المكتبات والتي عدت من المراكز المهمة في الحياة الثقافية في الموصل، منها المكتبات العامة الرسمية ومكتبات المؤسسات فضلا عن المكتبات التجارية والمكتبات الخاصة أو الأهلية.

أما المصادر التي أعتمد عليها الباحث في الدراسة منها:

الوثائق غير المنشورة ومنها ملفات البلاط الملكي (الديوان) والتي تحمل عنوان وزارة الداخلية والمحفوظة في دار الكتب والوثائق في (بغداد) وأفاد الباحث من هذه الوثائق لما تضمنته من معلومات عن تأسيس النوادي والجمعيات العلمية ونشاطها الفعال في تطور الحياة الثقافية في الموصل.

كما اعتمد الباحث أيضا على وثائق مديرية أوقاف نينوى والموصل أفاد الباحث منها في إعطاء معلومات عن المدرسة السلامية، فضلا عن وثائق محافظة نينوى إذ أخرجت الدراسة في مواصلة نشاط جمعية إخوان الحرية والمعهد الثقافي البريطاني وجمعية المعلمين ونادي ابن سينا والمدارس المهنية.

واعتمد الباحث على الوثائق المنشورة كوثائق عصابة الأمم (والمحفوظة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد وفي الجادرية وتقرير آخر معرب رفعته وزارة المستعمرات البريطانية إلى عصابة الأمم المتحدة عن تطور أحوال الإدارة في العراق لعام ١٩٢٦ وتقرير عن التعليم الإلزامي في العراق لهيوبرت هندرسين إضافة إلى الوثائق المنشورة في كتاب (العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥ - ١٩٣٠) لفؤاد قرانجي.

كما كانت المطبوعات الحكومية من الوثائق المهمة التي أعتمدها الباحث في الدراسة حيث أمدته بمعلومات عن المراكز التعليمية في الموصل ومنها التقارير السنوية التي تصدرها وزارة المعارف عن سير المعارف في العراق من عام ١٩٣٠ - ١٩٥٥ .

كما تعد المذكرات الشخصية من المصادر المهمة لما تضمنه من مادة تاريخية تمثل في الغالب وجهة نظر أصحابها، وقد أطلع الباحث على قسم منها وهي مذكرات منشورة منها الجزء الأول من مذكرات أبو خلدون ساطع الحصري المعنون (مذكراتي في العراق ١٩٢١-١٩٢٨) والجزئين الأول والثاني من مذكرات ذو النون أيوب الموسومة (ذو نون أيوب قصة حياته بقلمه).

وقد أفاد الباحث من مخطوطتين أيضا الأولى بعنوان (ملاحم من الحركة الفكرية المعاصرة في الموصل لغاية عام ١٩٦٨) لمؤلفها احمد سامي الجلي ومخطوطة بعنوان (مكتبات الموصل في القرون الثلاثة الأخيرة)لقصي حسين آل فرج.

وتعتبر الأوراق الخاصة من المصادر المهمة للباحث لما تضمنته من معلومات تاريخية،ومن هذه الأوراق :أوراق السيد احمد الجلي التي أفادت الباحث بمعلومات عن المدرسة الأهلية ونشاط نادي الجزيرة ونادي إخوان الحرية وجمعية الهداية الإسلامية وغيرها،كما أفاد الباحث من أوراق عبد الجبار محمد جرجيس الخاصة في متابعة نشاط مكتبة الشباب القومي.

كما اعتمد الباحث أيضا على الرسائل الجامعية بوصفها مصدرا آخر للمعلومات وفي مقدمتها أطروحة الدكتوراه الموسومة ب الأوضاع الإدارية في الموصل ١٩٢١-١٩٥٨ للباحث ذنون يونس الطائي،وتكمن أهمية هذه الأطروحة اعتمادها على وثائق ومصادر مفيدة ورسالة أخرى أفادت الباحث هي رسالة الماجستير الموسومة ب (التعليم في العراق ١٩٣٢-١٩٤٥ دراسة تاريخية) للباحث غازي دحام فهد المرسومي (الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠-١٩٤١) للباحث نوري احمد عبد القادر وأطروحة الدكتوراه (تطور الحركة القومية العربية في الموصل ١٩٤١-١٩٥٨) للباحث نفسه.كما اعتمد الباحث على الرسائل التي أرخت حياة تراجم موصلية منها (محمد رؤوف الغلامي ١٨٩٠-١٩٦٨ دراسة تاريخية في نشاطه العلمي والسياسي) للباحثة ميساء صباح حامد الحاج سعيد (محمد يونس السبعواوي ودوره في الحياة السياسية في العراق) للباحث ذاكر محي الدين عبد الله.

واعتمد الباحث على عدد من الكتب العربية و المعربة أهمها كتاب تاريخ الطباعة والمطبوعات العراقية ل بهنام فضيل عفاص والجزء الأول من أسرار الكفاح الوطني في الموصل (١٩٠٨-١٩٢٥) لعبد المنعم أغمامي و(مخطوطات الموصل) لداود أجلي و(تطور التعلم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢)لمؤلفه إبراهيم خليل احمد.

واستفاد الباحث من آراء عدد من الشخصيات الموصلية من خلال المقابلات الشخصية لهم وقد أغنت هذه المقابلات الرسالة بمعلومات قيمة أسهمت في الكشف عن جوانب مهمة من تاريخ الموصل الثقافي منها مقابلة للباحث مع السيد احمد سامي أجلي ومقابلة مع الأستاذ الخطاط يوسف ذنون وغيرها.

وكانت البحوث والمقالات العربية والأجنبية من مصادر معلوماتنا المعتمدة في هذه الرسالة نظرا لما ضمته من معلومات تاريخية قيمة وخصوصا منشرا منها في موسوعة الموصل الحضارية فضلا عن البحوث الأجنبية .

من خلال الدراسة توصل الباحث إلى ان هذه المراكز شهدت توسعا كبيرا من خلال الكم والنوع .كما ان هذه المراكز ساهمت دون شك،وبشكل فعال في نشر العلم والثقافة في أرجاء لواء الموصل وفي الحد من نسبة الأمية سواء من خلال التدريس في المدارس بأنواعها أو في طبع الكتب والصحف ونشرها أو عن طريق الانتماء غالى النوادي والجمعيات الثقافية وما يمارس فيها من إلقاء الخطب والبحوث وإصدار الكتب والمجلات وإقامة مواسم ثقافية وعرض الأفلام بالإضافة إلى فتح المكتبات العامة والخاصة.

ومن هذه المراكز المؤسسات التعليمية التي شهدت تطورا كبيرا بعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١،حيث فتحت المدارس الابتدائية والمتوسطة والإعدادية كما ظهرت العديد من المدارس المهنية إلا انه نجد انحسارا في إعداد الدينية .لعدم قدرتها على منافسة المدارس الرسمية الحديثة.

كما أسهمت الطباعة بشكل أو بآخر في نهضة الموصل الثقافية خلال الفترة التي تناولها البحث،حيث شهدت الموصل بعد تأسيس الدولة العراقية اتساع عدد المطابع الذي رافقه ظهور حركة صحفية واسعة النطاق إلا أن هذا التوسع في إعداد المطابع المفتوحة شهد ركودا شديدا خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥) وفي فترة الخمسينات لم يظهر إلا مطبعتين جديدتين والباقي هي مطابع قديمة... يضاف إلى ذلك زياد أعداد النوادي والجمعيات الثقافية المفتوحة في الموصل بعد صدور قانون الجمعيات في

٩حزيران عام ١٩٢٢ خصوصاً في فترة الثلاثينات من القرن العشرين فظهرت نوادي وجمعيات ساهمت في مكافحة الأمية وفي تثقيف روادها من خلال فتح المدارس وإلقاء الخطب والمحاضرات.

كما شهدت الموصل ركوداً في ميدان فتح النوادي والجمعيات الأهلية خصوصاً بعد إخفاق ثورة مايس ١٩٤١ وبدا الاحتلال الثاني للعراق حيث عمدت السلطات المحتلة إلى نشر الدعاية البريطانية في الموصل من خلال عدة واجهات دعائية استعمارية مثل نادي إخوان الحرية والمعهد الثقافي البريطاني وبالرغم من طبيعتها الاستعمارية إلا إنها أسهمت في الجانب الثقافي من خلال إلقاء الخطب والمحاضرات وتعليم اللغة الانكليزية.

وفي فترة ما بعد الحرب نشطت حركة النوادي والجمعيات إلا ان نشاطها لم يكن بمستوى نشاط النوادي والجمعيات في فترة الثلاثينات.

وشهدت الموصل أيضاً فتح العديد من المكتبات الرسمية كما أسهمت المؤسسات الإدارية والثقافية في الموصل بفتح مكتبات خاصة بها بالإضافة إلى قيام الأهالي بالموصل بفتح مكتبات تجارية أهلية ساهمت بتوفير المعلومات والكتب العلمية لسكان الموصل.



## الموصل قبل الحكم الوطني في العراق

عامر بلو إسماعيل \*

صدر عن مطبعة جامعة نيويورك الحكومية الأمريكية كتاب للأستاذة والباحثة الأمريكية المعروفة سارة شيلدز (Sarah D. Shields) تحت عنوان ( Mosul before Iraq : like bees making five-sided cells ) في ١ حزيران ٢٠٠٠، ويقع الكتاب في (٢٧٨) صفحة حجم الورق (٢٢٢،٩ X ١٥،٢) سنتيمتر، ويُعد هذا الكتاب من أهم الكتب الغربية التي تناولت التاريخ الاقتصادي للموصل في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لاستناده على الكثير من الوثائق الأصلية التي يتعذر على الباحث العربي الوصول إليها، لاطلاع الباحثة على الكثير من التقارير والمراسلات الدبلوماسية التي تتصل بتلك الفترة، فضلاً عن روايات الرحالة الأجانب والأرشييف العثمانية.

يتألف الكتاب من مقدمة وخمسة فصول فضلاً عن الخلاصة والمقترحات، كما تضمن شكر وتقدير وخرائط وصور توضيحية وجداول وإحصائيات وملاحظات عن كيفية كتابة بعض الأسماء العربية الأصل بالحروف اللاتينية.

في المقدمة أعطت الباحثة نبذة عن مصادر الكتاب وأهم الباحثين والمؤرخين الذين تناولوا الموصل في الفترة قيد البحث، كما قدمت توضيحاً للأهمية التاريخية لروايات الدبلوماسيين والرحالة والآثاريين الأجانب، وتحليلاً لشخصيات البعض منهم، وأهم الجهات المؤثرة في تاريخ الموصل في تلك الفترة وأهم الاستنتاجات.

أما الفصل الأول فقد درس تاريخ طبقة الموظفين في الموصل في الفترة قيد البحث، مبيناً علاقة العثمانيين بالموصل ومؤسسات الحكومة، والتنظيمات، والصراع على السلطة، وتنظيم المجتمعات غير المسلمة، والصراع بين النصارى من سكان الموصل،

\* مدرس/ مركز دراسات الموصل

والتحديات الكردية في الجبال، والشغب في المدينة، وأخيراً ثورة عام ١٩٠٨ والاستنتاجات.

وتناولت الباحثة في الفصل الثاني ما يتعلق بمجتمع مدينة الموصل من السكن، والغذاء، والماء، كما تحدثت في نفس الفصل عن ظروف العمل، والمنسوجات، والاقتصاد في النفقات، فضلاً عن تضمن الفصل لموضوعي التجارة الخارجية، والإصلاح الاقتصادي وردود الفعل المترتبة عليه.

واهتم الفصل الثالث بالتجار، ومعاهدة عام ١٨٣٨ التجارية، ووسائل النقل من أكلاك، وبغال، وجمال، والنقل النهري البخاري، كما تناول الضرائب، والاحتكارات، مع التركيز على التجارة الإقليمية والخارجية.

وركز الفصل الرابع على النشاط الزراعي من إنبات، وحصاد، فضلاً عن الضرائب المفروضة على المحاصيل الزراعية، وملكية الأرض، وتأثير تفعيل قوانين إصلاح الأراضي، كما ركّز الفصل على العمل وتزايد التصدير وعلى وفرة الطعام وندرته.

وأخيراً تتبع الفصل الخامس حياة البدو، وتربية الأغنام، وإنتاج الصوف، والسياسات الحكومية تجاه البدو.

وقد حاولت باحثة الجومرد في عام ٢٠٠٨ ترجمة الكتاب من اللغة الانكليزية إلى العربية، وغيرت اسم الكتاب من (الموصل قبل العراق: خلية نحل تصنع خلايا مُخمسة الأضلاع) إلى (الموصل قبل الحكم الوطني في العراق خلية نحل تصنع بيوتاً مُخمسة الأضلاع)، وقد صدر الكتاب بطبعته الأولى عن دار العابد للطباعة والنشر الكائنة في مبنى كلية الحداثة، في جامعة الموصل، وأصبح الكتب يقع في (٣٤١) صفحة من الحجم المتوسط.

وعلى الرغم من القيمة العلمية الكبيرة للنسخة العربية وما بذلته المترجمة من جهد كبير في سبيل إخراج الكتاب على أتم وجه، لا بد من الإشارة، من باب التقويم لا النقد، إلى أن الباحثة ارتكبت بعض الهفوات أثناء ترجمتها للكتاب من اللغة الانكليزية إلى العربية، مما غيّر وشوّه بعض الحقائق التاريخية التي وردت في الكتاب، كما إنها لم توفق في حذفها قائمة المصادر والمخطوطات الموجودة في آخر الكتاب، اعتقاداً من المترجمة بأن هذه القائمة غير مفيدة للقارئ، لافتراضها أن القراء لا يجيدون اللغات الانكليزية

والفرنسية والتركية، متناسية أنها تترجم الكتاب لكل طبقات المجتمع بما فيها طبقة المثقفين والمتعلمين.

وأخيراً لا بد من تعريف مختصر بالأستاذة والباحثة سارة شيلدز، وبعض نتائجها العلمية التي تتعلق بالموصل، فهي من مواليد ١٩٥٥ وكانت تقيم في مدينة كاربورو (Carrboro, NC) في ولاية كارولينا الشمالية (North Carolina) ثم انتقلت إلى مدينة تشابل هيل (Chapel Hill) في نفس الولاية، حصلت على شهادة البكالوريوس في جامعة برنستون (Princeton University) عام ١٩٧٨، وشهادة الماجستير في التاريخ من جامعة كنساس (University of Kansas) عام ١٩٨٢، وأخيراً الدكتوراه في التاريخ من جامعة شيكاغو (University of Chicago) عام ١٩٨٦، وفي عام ١٩٩٣ أصبحت أستاذاً مساعداً في قسم التاريخ في جامعة كارولينا الشمالية ثم ترقّت إلى مرتبة أستاذ مشارك في نفس الجامعة عام ٢٠٠٠ وأخيراً ترقّت إلى مرتبة أستاذ عام ٢٠١١.

ألقت سارة شيلدز عدداً كبيراً جداً من البحوث والكتب المنوعة وشاركت في عددٍ كبير من الندوات والمؤتمرات، وقد ارتأينا إدراج عناوين تلك الكتب والبحوث التي تتعلق بالموصل خدمة للبحث العلمي لما لها من قيمة تاريخية كبيرة لهذه المدينة وكما يأتي:

**الكتب:**

- 1- **Mosul before Iraq (State University of New York Press, 2000) Translated into Arabic, 2008.**

**البحوث:**

- 1- **“Mosul, the Ottoman Legacy, and the League of Nations,” *International Journal of Contemporary Iraqi Studies*, 3 (2009): 217–230**
- 2- **“Mosul Questions: Economy, Identity and Annexation,” in Reeva Simon, ed, *The Making of Modern Iraq* (Columbia University Press, 2004)**

- 3- "From Ottoman to British Empire in the Provinces (Case Study: Mosul)," in Robin Greeley
- 4- and Peter Sluglett, eds., *Empires in the Middle East*, Cambridge University Press, forthcoming.
- 5- "Sheep, Nomads and Merchants in Nineteenth-Century Mosul: Creating Transformations in
- 6- an Ottoman Society," *Journal of Social History* 25 (1992): 773-789. "Mosul and the Free Trade Treaties: The Non-Effects of the Commercial Convention on an
- 7- Inland Province," *New Perspectives on Turkey* 7 (1992): 113-123.
- 8- "Regional Trade and Nineteenth-Century Mosul: Revising the Role of Europe in the Middle
- 9- East Economy," *International Journal of Middle East Studies* 23 (1991): 19-37.

الندوات والمؤتمرات:

- 1- "Ottoman/British Mandate in the Provinces (Case Study: Mosul)," World Congress for Middle East Studies, Barcelona, Spain, July 2010.
- 2- "Imperial Myopia, the Prequel: Great Britain, the Mosul Question, and the League of Nations," Conference, Iran and Iraq Face the Future, University of Michigan, September 2005.
- 3- "The Mosul Region," Conference on the Making of Modern Iraq, Columbia University, April 2003.
- 4- "The Cotton Industry in Mosul Province: Response to the Tanzimat and the European Economy," Middle East Studies Association annual Meeting, November 1984.
- 5- "Mosul Trade during the Nineteenth Century," Middle East Studies Association Annual Meeting, November 1988.
- 6- "Nomads and the Urban Economy: Nineteenth-Century Mosul," Middle East Studies Association Annual Meeting, November 1985.